أحاديث إصلاح القلوب

(٤٦)

فقر القلوب

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فقد روى ابن ماجه وغيره عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ فَقَالَ: «**آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**»[(١)].

يبقى الفقر هاجسًا مؤرِّقًا وأمرًا مُقلِقًا، لاسيَّما عندما يُبتلى العباد بابتلاءاتٍ يكون فيها نقصٌ في الأموال والأرزاق والثِّمار، ففي ظلِّ مثل هذه الابتلاءات يذكر النَّاس الفقر ويتباحثون كثيرًا في أسباب علاجه وتخطِّي أزماته وتجاوز مشكلاته، ولكنَّ الأمر كما ذكر نبيُّنا في هذا الحديث العظيم «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**» أي: أنَّ ديننا المبارك دينٌ

---

(١) رواه ابن ماجه (٥)، وحسَّنه الألبانِيُّ.

عظيم فيه حلٌّ لجميع المشكلات وتجاوزٌ لجميع الأزمات وتخطٍّ لكُلِّ المحن، فهو دينٌ عظيم مبارك؛ فمَن وفَّقه الله للأخذ بآداب الدِّين وهداياته وتوجيهاته وإرشاداته هُدي إلى صراطٍ مستقيم في أيِّ محنة كانت أو أيِّ بليَّة نزلت، فلا بُدَّ من فزعٍ إلى دين الله عَزَّوَجَلَّ في المشكلات كلِّها والمصائب جميعها.

وإذا كان التخوُّف لدى النَّاس من الفقر الَّذِي هو قلَّة ذات اليد يشتدُّ ويزداد في بعض الظُّروف والأحوال إلَّا أنَّ نوعًا من الفقر آخر ينبغي أن تشتدَّ العناية به بشكل أعظم وأكبر؛ روى ابن حبَّان في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟**»، قُلْتُ: «**نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ**»، قَالَ: «**فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟**»، قُلْتُ: «**نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ**»، وهذا هو المفهوم السَّائد للفقر لدى جميع النَّاس، فقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ**»(١).

نعم؛ مَن كان غنيَّ القلب فإنَّه لا يضرُّه شيء وإن قلَّت ذات يده، بل لا يزال راضيًا قنوعًا بما قسَم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له، ومَن كان فقير القلب وإن أوتي من المال النَّصيب الأوفر؛ فإنَّه لا يزال يرى حظَّه قليلًا ونصيبه مبخوسًا، ويطلب

---

(١) رواه النَّسائِيُّ في الكبرى (١١٧٨٥)، وابن حبَّان في صحيحه (٦٨٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

المزيد؛ كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»(١). رواه البخاريُّ، ورواه أحمد وزاد: «**لَابْتَغَى إِلَيْهِمَا ثَالِثًا**»(٢). أي: وهلُمَّ جرًّا إلى ما لا نهاية له، هذا طبع في الإنسان إلَّا مَن رحم الله. وقوله: «**وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ**» أي: لا يزال حريصًا على جمع الدُّنيا حتَّى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره، وقد حثَّ ﷺ في تمام الحديث على التَّوبة؛ لأنَّ الغالب أنَّ الَّذِي عنده طمع شديد في المال قد لا يحترز من بيوع مُحَرَّمة، وأنَّ دواء ذلك التَّوبة إلى الله.

فعاد الأمر في هذه المشكلة وفي كلِّ مشكلة إلى القلب؛ إصلاحًا له وإقامةً له على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ إيمانًا وتوكُّلًا ورضًى وقناعةً وتَّوبةً نصوحا من كلِّ تفريط بدر أو تقصير حصل وغير ذلك من معاني الإيمان العظيمة وهداياته الجليلة.

ومَن يتأمَّل هدايات هذا الدِّين في علاج هذا المؤرق -أعني الفقر- ومشكلتَه الَّتِي تتأزَّم بها كثيرٌ من القلوب يرى فيه هداياتٍ عظيمة وتوجيهاتٍ سديدة فيها صلاحٌ للعبد، ليس في أمر دنياه فقط بل في صلاح الدِّين والدُّنيا

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٣٩).

(٢) رواه أحمد (١٣٥٥٢).

والآخرة، كما جُمِعَتْ هذه الثَّلاثة في الدُّعاء العظيم المبارك: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**»(١). رواه مسلم.

وهنا تتأكَّد حاجة العبد إلى اليقين بالله، وأنَّ الأمر كلَّه بيد الله، وأنَّ الرزَّاق جلَّ في علاه في السَّماء؛ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذَّاريات:٢٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾ [فاطر:٣]، ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرُّوم:٣٧]، ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزمر:٥٢]، ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [سبأ:٣٦]، ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ﴾ [سبأ:٣٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فربُّنا جلَّ في علاه هو القابض الباسط، الخافض الرَّافع، المعطي المانع، المعزُّ المذلُّ، الَّذِي بيده الأمر لا شريك له؛ فأساس الأمور وقاعدة صلاحها: إيمانٌ صادقٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وحُسن توكُّل عليه جلَّ في علاه، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود:٦]. لا بُدَّ من تحقيق هذا الإيمان وإقامة هذا الأصل العظيم في القلوب

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٠).

حتَّى يكون ذُلُّ العبد وفزعه والتجاؤه ورِقُّه لربِّه جلَّ في علاه، وحينئذ لا يلتفت إلى مخلوق ولا يذلُّ له لنيل شيء من حطام الدُّنيا، وإنَّما يكون ذلُّه وخضوعه وانكساره لمولاه وسيِّده جلَّ في علاه.

إنَّ مَن يتوكَّل على الله حقًّا يفتح الله له من أبواب الرِّزق والتَّيسير والتَّوفيق من حيث يحتسب العبد ومن حيث لا يحتسب، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطَّلاق:٢-٣]، يقول نبيُّنا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(١).

وفي هذا الباب العظيم حثَّ الإسلام على العمل ورغَّب فيه وحضَّ عليه؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠].

فينبغي أن يكون المرء في هذا الباب همَّامًا نشيطًا بعيدًا عن التَّواني والعجز والكسل، حتَّى وإن لم يكن عنده شيءٌ يتحرَّك به من المال، فإنَّ القليل مع الهمَّة وحُسن التَّوكُّل يكون كثيرًا، وبيَّن عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ المسألة لا تحلُّ للرَّجل القويِّ، فقد جاءه رجلان من الأنصار يسألانه من الصَّدقة

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وصحَّحه الألبانيُّ.

فرفع بصره إليهما فإذا هما جَلْدَيْن -أي قويَّين-؛ قال: «**إِنَّ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا، وَلَا تَحلُّ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ**»(١)، أي: أن يكتسب ببدنه.

وحثَّ الإسلام على العمل والبُعد عن التَّقاعس والكسل مع الثِّقة بالله وحُسن الالتجاء إليه جلَّ في علاه. وأرشد أهل الفقر وقلَّة ذات اليد إلى الاقتصاد في المعيشة والقناعة بما آتى الله جَلَّوَعَلَا عبده، وعدم التطلُّع إلى ما في أيدي مَن كانوا أكثر منهم مالًا، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّساء:٣٢]، وجاء أيضًا بالتَّعوُّذ بالله من الفقر، فإنَّه لا يعيذ منه إلَّا الله، حيث صحَّ في الحديث عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ**»(٢)، وكان يقول إذا أصبح ثلاثًا وإذا أمسى ثلاثًا: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَمَنَ الْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٣).

ثمَّ إنَّ كثيرًا من النَّاس يظنُّ أنَّ مَن وُسِّع عليه في المال وكثُر الرِّزق في يده أنَّ هذا إكرامٌ من الله له، ويظنُّون في الوقت نفسه أنَّ مَن ضُيِّق عليه في المال وقُتِّر عليه فيه أنَّ هذا من إهانة الله له؛ وهذا ظنٌّ خاطيء سائد عند عدد ليس

---

(١) رواه أبو داود (١٦٣٣)، والنَّسائِيُّ (٢٥٩٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) رواه أبو داود (١٥٤٤)، والنَّسائِيُّ (٥٤٦١)، وابن ماجه (٣٨٤٢)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وقال الألبانِيُّ: «حسن الإسناد».

بالقليل من النَّاس، يقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ هكذا يظنُّون، قال الله: ﴿كَلَّاۖ﴾ [الفجر:١٥-١٧]. أي: ليس الأمر كما يظنُّ هؤلاء، بل إنَّ مَن وسَّع الله عليه في المال أو ضيَّق عليه في المال كلٌّ منهما مبتلى، هذا مبتلى بغناه، وهذا مبتلى بفقره، والحياة الدُّنيا ميدان ابتلاء وامتحان، فالغنى فتنة والفقر فتنة، ولهذا جاء في السُّنَّة الصَّحيحة التَّعوُّذ منهما، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ**»(١)، فهذا فتنة وهذا فتنة، والمؤمن الموفَّق فائز في كِلا الامتحانين كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٢)، فالمؤمن في سرَّائه فائزٌ بثواب الشَّاكرين، وفي ضرَّائه فائز بثواب الصَّابرين.

هذا وإنَّ من أعظم خصال المؤمن تحقيقَ عبوديَّةِ الافتقارِ إلى الله والاضطرارِ إليه فهي روحُ العبادة ولُبُّها، بأن يعلم علمَ يقينٍ أنَّه مفتقرٌ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، محتاجٌ إليه، لا يستغني عنه طرفة عين، وذلك أنَّ الإنسان بل وجميعَ المخلوقات عبادٌ لله تعالى، فقراءُ إليه، مماليكُ له، وهو ربُّهم ومليكُهم

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٧٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩).

وإلَهُهم، لا إله لهم سواه، فالمخلوقُ ليس له من نفسه شيءٌ أصلًا، بل نفسُه وصفاتُه وأفعالُه وما ينتفع به أو يستحقه وغيرُ ذلك إنَّما هو من خلق الله، والله عَزَّوَجَلَّ ربُّ ذلك كلِّه، ومليكُه وبارئُه وخالقُه ومصوِّرُه، ومدبِّرُ شؤونه، فما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم يكن، فلا رادَّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [فاطر:٢].

فالمخلوقُ فقيرٌ إلى الله، محتاجٌ إليه، من كلِّ وجه، يقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، فليس المخلوق مستغنيًا بنفسه ولا بغير ربِّه سبحانه.

وقد جاء في الحديث القُدُسيِّ أنَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يقول: «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارَ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...**»[(١)]، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا يقتضي أنَّ جميع الخلق مُفتَقِرون إلى الله تعالى في جلب مصالِحِهم، ودفع مضارِّهم، في أمور دينهم ودنياهم، وأنَّ العبادَ لا يملكون لأنفسهم شيئًا من ذلك كلِّه، وأنَّ مَن لَم يتفضَّل الله عليه بالهدى والرِّزق؛

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

فإنَّه يحرمهما في الدُّنيا، ومَن لَم يتفضَّل الله عليه بمغفرة ذنوبه أَوْبَقته خطاياه في الآخرة»[١].

فالأمورُ كلُّها بيده، الهدايةُ والعافيةُ والرِّزقُ والصِّحَّةُ وغيرُ ذلك، وما شاء سبحانه من ذلك كان، وما لَم يشأ لَم يكن، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النَّحل:٤٠]، فعطاؤُه سبحانه كلام، وعذابُه كلام، فإذا أراد شيئًا من عطاء أو عذاب أو غير ذلك؛ قال له كن فيكون، فكيف يُلجأ إلى سواه، أو يُخضع لمن دونه، أو يُطلب ويدعى غيره؟

ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:١٧] «فالعبد لا بدَّ له من رزقٍ، وهو محتاجٌ إلى ذلك، فإذا طلب رزقَه من الله صار عبدًا لله، فقيرًا له، وإذا طلبه من مخلوق صار عبدًا لذلك المخلوق فقيرًا له»[٢].

إنَّ فقرَ المخلوق واحتياجَه لربِّه أمرٌ ذاتِيٌّ له، لا وجود له بدونه، لكنَّ المخلوقين يتفاوتون في إدراك ذلك الافتقار أو العزوب عنه، والعبد فقيرٌ إلى الله من جهتين، من جهة العبادة، ومن جهة الاستعانة، كما قال الله سبحانه:

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٣/ ٣٦).

(٢) انظر: العبودية لابن تيميَّة (ص٨٢)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٢).

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنَّه معبودُه الَّذِي يحبُّه حبَّ إجلال وتعظيم، وقلبُه «لا يصلح ولا يفلح، ولا يُسرُّ ولا يلتذُّ، ولا يطيب ولا يسكن، ولا يطمئنُّ إلَّا بعبادة ربِّه والإنابة إليه، ولو حصل له كلُّ ما يلتذُّ به من المخلوقات لَم يطمئنَّ ولم يسكن، إذ فيه فقرٌ ذاتِيٌّ إلى ربِّه من حيث هو معبودُه ومحبوبُه ومطلوبُه، وبهذا يحصل له الفرحُ والسُّرورُ واللَّذَّةُ والنِّعمةُ والسُّكونُ والطُّمأنينة، والعبد يفتقر إلى الله من جهة استعانته به للاستسلام لأمره، والانقياد لحكمه، والخضوع لشرعِه؛ إذ لا يقدر على تحصيل شيء من ذلك والقيام به إلَّا إذا أعانه الله»[(١)].

نسأل الله أن يوفِّقنا لتحقيق ذلك وحسن القيام به، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر: العبوديَّة لابن تيميَّة (ص٩٧)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ١٩٤).